التخطيط العماري في قلعة أربيل على ضوء اللوح الآشوري المحفوظ في متحف اللوفر

م. د. كاروان صديق بلباس
قسم الآثار/ كلية الآداب
جامعة صلاح الدين/ أربيل
su.edu.krd@karwan.bekr

– الملخص:

ان البحث الموسوم (التخطيط العماري في قلعة أربيل على ضوء اللوح الآشوري المحفوظ في متحف اللوفر) يساهم في دراسة وتحقيق موضوع عمارة مدينة أربيل في ضوء الحجر الرخامي المنحوت بمشاهد إطلالة قلعة أربيل، المحفوظ حاليا في متحف اللوفر في باريس تحت الرقم (AO-19914). تثبت الكتابات المسمارية الآشورية أن أربيل اسمها القديم (أربا-ئيل)، تعد احدى المدن الآشورية المحصنة خلال حكم الدولة الآشورية الحديثة (٩١١-٦١٢ قبل الميلاد)، إلى جانب عواصم آشورية أخرى مثل (آشور ونينوى وخرساباد وكالخو)، نظرا لموقعها المهم بين المناطق الوسطى والمناطق المحيطة بحدود الدولة الآشورية، فهي تعدَ بمثابة احدى المراكز الدولة الآشورية.

لعبت الكثافة السكانية والنشاط الاقتصادي وتأثير البيئة الطبيعية والمكون الجغرافي لمدينة أربيل دوراً فاعلاً في الحياة الآشورية. لطالما اعتبر الآشوريون أربيل على أنها مقاطعتهم الرئيسية وكان لهم حاكم خاص يزود الجيش الآشوري بالمؤن في المجال العسكري ويسلحهم خلال الحملات الحربية. لذلك لعبت إلى جانب مدينتي آشور ونينوى، دوراً دينيًا مهمًا كمركز عبادة للإلهة عشتار وأداء العديد من الطقوس لها، لأنها كانت المدينة مركزاً للفؤول وللأرصاد الفلكي لملوك الدولة الآشورية.

- الكلمات الدالة: العمارة الأشورية، مدينة أربيل، الألهة عشتار، آشوربانيبال، التخطيط المعماري.

– المقدمة:

تعتبر قلعة أربيل واحدة من المعالم الأثرية والتاريخية القديمة في العالم التي لا تزال مأهولة وتحتفظ باسمها القديم. تقع على هضبة مسطحة ترتفع (٤١٥م) عن مستوى سطح البحر وفي منطقة تعرف باسم سهل أربيل تمتد حدود اقليمها فيما بين نهري الزاب الأعلى والأسفل، يحدها نهر الخازر غربا ونهر الزاب الصغير شرقا. وتشكل قلعة أربيل الآن كتلة بنائية دائرية الشكل، ترتفع بمقدار (٣٢م) على مستوى المناطق المحيطة بالقلعة. تعاقبت على هذه المدينة حضارات متعددة وظهرت فيها ثقافات مختلفة، بدأ الإستيطان في مدينة أربيل نحو ستة آلاف عام ق.م. وأصبحت من المدن المهمة في بلاد آشور، فقد تم بناء المعابد والزقورة والقصور فيها، وان اسم المدينة مذكور في الكتابات المسمارية ترجع الى الالف الثالث قبل الميلاد. أما التأريخ المصور فيبدأ من اللوحة الجدارية الآشورية التي عثر في مدينة نينوى موضوع الدراسة وهي تمثل أقدم عنصر نحتي فريد ومزين بمشاهد لمدينة أربيل، ان هذه الالواح الحجرية، استخدمها المعماريون الآشوريون لتغطية الجدران الخارجية للمعابد وتزيين القاعات والعروش للقصور. وقد أضفى جمالاً على العمارة الآشورية، كما كان لها وظيفة عمارية تتمثل في كون تلك القطع الحجرية الضخمة تعمل على إسناد الجدران الآجرية وتقويتها فضلاً عن وظيفتها الإعلامية فهي تصور مدى اهتمام الدولة الآشورية بالصور كوسيلة لسرد الاحداث التاريخية والمآثر العسكرية.

– اهمية البحث:

باتت مدينة أربيل محط أنظار واهتمام العديد من الباحثين والمنظمات الأثرية والأكاديمية الدولية والإقليمية بسبب أهميتها التأريخية والحضارية حتى دخلت قلعة أربيل عام ٢٠١٤ ضمن لائحة التراث العالمي لليونسكو. والتزمت الأموال والعقول بأبحاثهم من أجل توضيح تأريخ المشرق والتراث الاجتماعي والثقافي والبقايا الفنية والمعمارية لهذه المدينة العريقة، لهذا السبب فإن أهمية هذا البحث يكمن في كونه يركز بالدرجة الأساس على التحليل الفني للعناصر المعمارية الموجودة في لوحة أربيل. في مرحلة ثانية، أجريت دراسة معمارية مقارنة، أتاحت التعمق والتعرف على هذه

الاختلافات والتشابهات المعمارية بين مدينة أربيل والمدن الآشورية الأخرى، كذلك مع الحضارات التي سبقتها ومعاصريها. وقدم وصفاً كاملاً ودقيقاً لصفاتها في ذلك الوقت.

– مشكلة البحث:

من الواضح لم تجر الدراسات حول التاريخ المعماري القديم لمدينة أربيل. باستثناء بعض البحوث والمقالات عن التأريخ المدينة من الدلائل المستمدة من نتائج الحفريات الأثرية. التي أظهرت أن أربيل كانت مدينة في نهاية الألفية الرابعة ق.م، مما يدل أن أربيل مرت بالمراحل الأولى من التطور العمراني، لكن من الصعب معرفة المزيد عن الألفين الأولين ق.م من تاريخها المعماري. لأن المدينة الحديثة أقيمت على أنقاض المدينة القديمة، فإن هذا يجعل الحفريات صعبة، على الرغم من إجراء الحفريات مؤخراً في عدة أماكن في قلعة أربيل. إلا أن الآثاريين لم يصلوا بعد إلى أعماق الطبقات القديمة للمدينة، ولم تتجاوز الحفريات الطبقات قبل العصر-الإسلامي. لذلك يظل التاريخ المعماري القديم وتخطيط المدينة غامضين إلى حد ما، مما يجعل الحصول على القطع الأثرية الملموسة أو غير الملموسة لا تقدر بثمن.

– أهداف البحث:

١- يهدف البحث التعرف على الأصول التأريخي للتخطيط المعماري في مدينة القلعة أربيل خلال العصر-الآشوري الحديث، من (الزقورة والمعبد والقصر-الملكي وأسوار المدينة).

٢- التعرف على الاختلاف والتشابه بين الوحدات العمارية لمدينة القلعة أربيل ومقارنتها مع العواصم الآشورية الأخرى، بالاعتماد على عينات من (آشور، ونينوى، وخرسباد) للفترات الزمنية المعاصرة للمدينة أربيل، على الرغم من وجود التشابه من حيث الطراز المعماري والتقارب في الخصائص الجغرافية.

أولاً: اسم أربيل القديم (التل والقلعة) في ضوء المصادر المسمارية (٢٩٠٠-٦١٢ ق.م):

يعد البحث المعماري لمدينة أربيل القديمة من المواضيع المهمة والغامضة. على الرغم من أن عدد النصوص المسمارية التي جاءت فيها ذكر اسم المدينة كثيرة، تختلف

من حيث المحتوى والعصر. يرجع تاريخ أحدث كتابة مسمارية التي وردت فيها ذكر المدينة إلى نهاية الألفية الأولى ق.م، وهي متزامنة مع وصول الإسكندر الأكبر ونهاية المملكة الأخمينية (٣٣٠ق.م.) في معركة حاسمة (أربيلا أو غوغاميلا)، (MacGinnis, 2013, 17-22). أما أقدم هذه التواريخ فهي تعود إلى الألفية الثالثة ق.م، تزامن ذلك مع نظام دولة المدينة السائد في وسط وجنوب بلاد الرافدين. في تلك الفترة كانت أربيل يحكمها السوباريون والخوريون[1] ضمن بلاد سوبارتو. وترتبط بصلات تجارية مع مدن أخرى محيطة بها أو مملوكة للمملكة في حدود المنطقة الجغرافية مثل (خمازي)، فيعتقد أن المملكة تقع شرق نهر دجلة بين كركوك وأربيل (ئەحمەد، ٢٠٠٨، ٣٦-٣٩). ذلك فإن هذه المدينة ذكرت في جدول أثبات الملوك كتبها السومريون في أواخر عصر فجر السلالات (٢٩٠٠ - ٢٣٧١ ق.م) التي حكمت مدن جنوب العراق القديم (باقر، ٢٠٠٩، ٣٢٤). لذا فهم لا يدخلون في التفاصيل المعمارية لمدينة أربيل.

جاء ذكر أربيل لأول مرة في وثيقتين من مدينة إيبلا (تل مرديخ الحالية) في شمال غرب سوريا، في صيغتين (إيربيل وأوربل)، وكانت تابعة لحاكم المملكة الخمازية (زيزي) المعاصرة لفترة الإمبراطورية الأكدية حوالي (٢٣٧١-٢٢٣٠ ق.م.)، وكانت تطلب المساعدة العسكرية منها (Archi, 2015, 9). وتدل النصوص الجغرافية أن إقليم كوردستان-العراق الحالي بأكمله كان ضمن سيطرة الإمبراطورية الأكادية في فترات حكم ملوكهم الأقوياء وتمرد عليهم سكان المنطقة وقاوموا الوجود العسكري الأكدي ثم اصبحت عرضة للقمع، وبإستمرار المشاكل والاضطرابات الداخلية استمرت الثورات وبُذلت الجهود لإخمادها. بدأ الضعف ينتاب الدولة الأكادية (زيباري، وهموندي، ٢٠١٨، ٩١-٩٦). ونجح الكوتيون في حكم العراق بصورة رمزية في نهاية عهد ملكين أكديين دودو(٢١٨٩-٢١٦٩ق.م) وشودورول(٢١٦٨-٢١٥١ق.م) حكما بصورة أسمية تحت السيادة الكوتية، حسب جدول إثبات الملوك السومريين، حكموا الكوتيين مابين(٢٢١٠-٢١١٦ق.م)، ثمة نص يتحدث عن حملة ناجحة قادها الملك الكوتي (آريدوبيزير) نحو (٢٢٠٠ق.م) ضد تمرد حاكم أوربيلم الخوري (نيريشخوخا) ثم فتح (قلعة نارابات) أوربيلم عند جبل مومو (جبل بيرمام؟)، (القره داغي، ٢٠٠٨، ٥١، ٥٤، ٥٥-٥٦).

ثمة بعض النصوص المسمارية تعود لأوائل الألفية الثانية قبل الميلاد. منها النصوص من عصر سلالة أور الثالثة (٢١١٤-٢٠٠٤ ق.م) تشير إلى استيلاء الملك شولكي (٢٠٩٥-٢٠٤٨ ق.م.) على مدينة أوربيلوم وقلعتها في العام ٤٢ من حكمهُ. وعندما خلفه آمارسين (٢٠٤٦-٢٠٣٨ ق.م.) كانت مدينة أوربيلوم من المدن التي استطاع فرض سلطته عليها. لتطبيع الأوضاع في المدينة نصب أمراء وحكاما عسكريين (باقر، ٢٠٠٩، ٤٢٢-٤٢٥)، لكن تلك الوثائق المسمارية لاتنفع في مجال الدراسات المعمارية وتتركز مضمونها حول تسجيل تأريخ الحوادث وتخليد مشاريع ملوك تلك السلالة. وثمة نصوص آخرى تشير إلى أن في عهد الملك آبي سين (٢٠٢٨-٢٠٠٤ ق.م.) أعلنت مملكة سيموروم [٢] إستقلالها عن إمبراطورية أور الثالثة بقيادة ملكها (إيدي سين) وشملت المملكة شمالاً حتى جبال سفين ومدينة أوربيلوم أيضاً. فضلاً عن وجود الخطر الرئيسي من الغرب المتمثل بالهجرة الأمورية، تم إقامة حلف سياسي وعسكري بين العيلامين والكوتيين والأموريين، كان من نتائجه الهجوم على العاصمة السومرية أور وإسقاطها بيد العيلاميين في العام (٢٠٠٤ ق.م.)، (Eidem, and Laessoe, 2001, 70-75). تمكن (إشبي إيرا) حاكم سلالة أيسن الأولى بين (٢٠١٧-١٩٨٥ ق.م.) طرد العيلامين سنة ١٩٩٦ق.م. (الهموندي، ٢٠١٧، ٥). بيد أن التفكك ونظام دولة المدينة عاد إلى الوجود، في ذلك العصر ظهرت في مناطق كوردستان العراق الحالي مجموعة دويلات كان من بينها دويلات خورية عقدوا فيما بينهم الأحلاف السياسية، ولأربيلوم أنحصرت فعاليتها السياسية في السهول الواقعة شرق دجلة مع (قابرا[٣]، وآرابخا، وأشنونا[٤]) إذ إستخدمت اللغة السوبارية كلغة عامة لجميع المراكز السكانية في كوردستان بما فيها مناطق شمال غرب بلاد الرافدين (Eidem, and Laessoe, 2001, 74-72؛ ئەحمەد، ٢٠٠٨، ٣٣-٣٦). ظهرت آشور كدولة قوية بقيادة ملكها شمشي أدد الأول (١٨١٥-١٧٨٤ ق.م.) الذي سيطر على أجزاء واسعة من مناطق الخوريين في شرق دجلة، ورد اسم أربيل في نقشين ملكيين باسم (أوربيل)، لكلا الملكين دادوشا ملك أشنونا وشمشي أدد الأول، تشير الرسالتان إلى حملة عسكرية مشتركة ضد أربيل كانت جزءًا من مملكة قابرا في هذا الوقت، ويبدو أنها كانت موقعًا معروفاً ومكاناً للمعبد الرصين (Eidem, 1985, 84).

بعد وفاة شمشي أدد الأول قام التوروكيون [٥] بالثورة ضد الآشوريين من آرابخا وأوربيلوم ونينوى، وساهم الملك البابلي حمورابي (١٧٩٢-١٧٥٠ ق.م.) في الحرب ضد التوروكيين، لحفظ حدود مملكتهُ ولوقف تدفقهم نحو آشور، مع ذلك واصل التوروكيين زحفهم وأجتاحوا مناطق غرب دجلة وسيطروا على جميع مناطق كوردستان-العراق اليوم (درويش، ٢٠١٧، ٣٩). نجح الملك الآشوري أشمي داكان الأول (١٧٨٠-١٧٤١ ق.م.) في عقد صلح مع ملك التوروكيين وأستطاع بموجبهُ أن يدرأ الخطر عن مدينة آشور ومناطق تابعة لها، ثم أنتهت مملكة إشمي داكان الأول بوفاتهُ وسيطر عليها الملك التوروكي (زازيا) وأسس مملكة واسعة الأطراف، حيث كان الأمراء الخوريون يحكمون ممالك أمتدت من شمال سوريا عبر شمال بلاد الرافدين إلى شرقي نهر دجلة وإلى حدود تكريت جنوباً، والتي أرتبطت بعلاقات مصاهرة مع ماري (القره داغي، ٢٠٠٨، ٧١-٧٥).

تشير النصوص المسمارية في العصر ـ الآشوري الوسيط (١٥٠٠-٩١١ ق.م.) منذ منتصف الألف الثاني ق.م إلى العديد من الانتفاضات والحروب في منطقة أربيل. بعد إختفاء ماري كقوة سياسية في العام ١٧٥٩ق.م. على يد حمورابي ملك بابل، ومن بعدها سقوط مملكة يمخد (حلب) في العام ١٥٩٥ق.م. على يد مورشيلي الأول ملك الحيثيين (ئەحمەد، ٢٠٠٨، ٢٩٥)، بدأ نفوذ الخوريين بالتوسع أكثر ظهر ازدياد الوجود الخوري بشكل واضح في الشرق، يُعلم ذلك من خلال نصوص نوزي بأن آرابخا (كركوك الحالية) أصبحت في نهاية العصر البابلي القديم (١٥٩٥ق.م.) مدينة خورية، وكان ذلك لضعف آشور وأشنونا (فيلهيلم، ٢٠٠٩، ٤٢، ٧٦). في فترة أحدث قليلاً بنهاية العصر ـ البابلي القديم أي خلال القرن ١٦ق.م. أسس الخوريون كياناً سياسياً لهم في شمال بلاد الرافدين عرف بالدولة الميتانية، لايملك الباحثون معلومات كثيرة عنها، أما المناطق الواقعة غرب نهر الفرات وشرق نهر الدجلة، كانت تحكمها ممالك محلية تابعة للسلطة الميتانية، وكما كانت أربيل في الشرق احدى المناطق التابعة للملكة الميتانية مثل آرابخا وآشور، التي أصبح فيها ملوك آشور تابعين لميتاني وحكاماً بالإسم (إسماعيل، ٢٠١٩، ١١١-١١٥).

اندلعت حرب أهلية بين أثنين من دعاة العرش الميتاني أحدهما شوتارنا الثالث (١٣٣٠ق.م.) المدعوم من الآشوريين، والآخر فهو شاتيوازا المدعوم من الحيثيين، وقد أستطاع الأخير الفوز بالعرش والحصول على حماية الحيثيين لبعض الوقت. في المقابل أستطاع الآشوريين تحرير آشور من سيطرة الميتانيين بقيادة آشورأوبالط الأول (١٣٦٥-١٣٣٠ ق.م.) والتوسع نحو الشمال والشرق (فيلهيلم، ٢٠٠٩، ٨٧-٧٠)، حيث نجح في فرض سيطرتهُ على مناطق سهل أربيل والجبال المحيطة بها وتغير ميزان السلطة لصالح الآشوريين. تولى حكم آشور شلمنصر الأول (١٢٧٤-١٢٤٥ق.م.) حيث ورد في كتاباته ذكر المدينة بـ(أربائيل) واسم المعبد ((إي-كاشان-كالاما))، والذي يعني (بيت سيدة الاقاليم)،لأول مرة وتم تجديده من قبل الملك (حنون، ٢٠٠٩، ٢٤٨). في عهد الملك توكلتي ننورتا الأول (١٢٤٤-١٢٠٨ ق.م.) كان الملك قادرا على التحكم في سلطة الدولتين الخورية والآشورية، متحدين فيما بينهما، وفقا للنظام الدبلوماسي، الذي ضمن مصالحهم ضد الحثيين، الذين سيطرو على مناطق شمال شرق دجلة (Grayson, 1987, 26, 11-14).

في نصوص أخرى التي تعود إلى الألف الأول ق.م، المتزامنة مع العصر-الآشوري الحديث (٩١١-٦١٢ قبل الميلاد)، تظهر الأهمية الاقتصادية للمدينة في ذلك الوقت من خلال بعض الحقائق التي تشير إلى أن العديد من الضرائب من البلدان المجاورة لبلاد آشور مثل عيلام وأورارتو جاءت من سفرائها وتم تحصيلها من قبل مدينة أربيل (MacGinnis, 2013, 80)، ثم أرسل إلى العواصم الآشورية. بالإضافة إلى ذلك، زودت أراضي مدينة أربيل العواصم الآشورية بحبوب القمح والشعير وثمار الرمان والدراق والخوخ والعنب وكذلك حبوب اللوز والجوز والفستق (حنون، ٢٠٠٩، ٧١-٧٥).

كما تشير بعض النصوص المسمارية الآشورية الأخرى إلى الأهمية الدينية للمدينة، التي ورد فيها ذكر حاكمها المسؤول في أربع مناسبات دينية والذي كان مسؤولاً عن الإدارة والجيش مما يشير إلى قصر منفصل عن القصر الملكي لحاكم أربائيل، لا سيما في السنوات الأخيرة من عهد آشور بانيبال الذي استخدم أربيل كمقر إقامته الأساسي يبدو أن آشور بانيبال استخدم أربيل كعاصمة مؤقتة أو ثانوية غير معلن عنها. أصبحت أربيل مدينة بين المواكب الملكية والخانات على طريق القوافل التجارية. وظلت قاعدة

للقوات الآشورية منذ عهد الملك سرجون الثاني (٧٢٢-٧٠٥ ق.م) وحتى نهاية الدولة الآشورية (٦١٢ ق.م). يذكر الكاتب الآشوري في النصوص أن لدى أربيل مخزونًا كبيراً من الأسلحة العسكرية، وقد ورد ذكر عرباتها وخيولها ودروعها وأقواسها عدة مرات في المصادر (MacGinnis, 2013, 32-36).

يمكن ملاحظة تطور مدينة أربائيل من خلال الاهتمام المتزايد بالالهة عشتار إلهة الحرب، حيث ورد اسم الزقورة ومعبدها الشاهق للإلهة عشتار في معظم نصوص الملوك الدولة الآشورية الحديثة. يعود تاريخ أول نص إلى عهد الملك أشوردان الثالث (٧٧٢-٧٥٥ ق.م)، الذي قدم ذبيحة لعشتار أربائيل (إبراهيم، ٢٠١٠، ٣٥-٣٦). بينما بدأ الاهتمام بالمدينة وتطورها المعماري بشكل واضح في عهد الملك سنحاريب (٧٠٤-٦٦٩ ق.م)، بعد إنشاء قناة مائية، التي تعرف بقاياها الأثرية بقناة باستورة، حيث اشار الملك في كتابة مسمارية على حجر بحفرة قناة من بستورة إلى أربيل لجلب الماء إلى المدينة فذكر:

((أنا سين-آخي-آريبا(سنحاريب)، ملك العالم وملك أشور، حفرت ثلاثة أنهار في جبال خانى التي تقع على سفوح أربائيل، وجعلت الينابيع على جانبي الأنهار اليمنى واليسرى تتدفق إليها، كما حفر قناة في وسط أربائيل، أرض الإلهة العظيمة عشتار، لقد أحضرت الماء بمستقيم))، (سفر، ١٩٤٧، ٧٨؛160-159 ,Frahm, 1997).

كان هدف الملك سنحاريب من إنشاء هذه القناة هو توفير مصدر مياه نقية للمدينة وجلب المياه على بعد ٥٥ كم من نهايات الجبال (سفين ، وبيرمام، وبنه باوى) عن طريق الإستفادة من روافد الأنهار (سوسى، وزيارەت ، وقيرژه)، لجلب الماء إلى بستوره ومن ثم تحويلهُ إلى قلعة أربيل. يعد ذلك المشروع من المشاريع الإروائية المهمة للاشوريين قبل نحو أكثر من ٢٦٠٠ سنة (سفر، ١٩٤٧، ٧٧-٨٠). استمر اهتمام الملوك الآشوريين بمدينة أربيل من خلال كتابات أسرحدون (٦٨٠-٦٦٩ ق.م) وآشوربانيبال (٦٦٨-٦٢٧ ق.م) اللذان إستمرار في الاهتمام بالمدينة وإلهتها، وحلف الملوك بالالهة (عشتار أربائيل)، (Nissinen, 2003, 168-173). به أظهر آشوربانيبال مراراً عن احترامه للمدينة واشار إلى ترميم المدينة ومعبدها وتزيينها بالزخارف. حيث ذكر آشور بانيبال مراراً عن احترامه للمدينة من خلال ترميم المدينة وتزيين معبدها، ويقول:

((أنا آشور-بان-آبلي (آشوربانيبال) أعدت بناء معبد إگاشان-كالاما (عشتار أربائيل) وغطت جدران (حجرتها) في معبده بالذهب))، (MacGinnis, 2013, 81).

ثانياً: تأريخ أربيل القديم (التل والقلعة) في ضوء التنقيبات الأثرية:

أ- التنقيبات الحديثة:

على الرغم من صعوبة تحديد بداية تأريخ أول إستيطان في التل الذي شيد عليها القلعة، الا أن العثور على بقايا الآثارية للعصر الحجري الوسيط (١٥٠٠٠-٨٥٠٠ ق.م.) بالقرب من القلعة وفي المناطق السهلية حول أربيل حيث هناك تلول تمثل بقايا المستوطنات قديمة تعود إلى عصور حضارية متعاقبة، منها عصر حلف (٥٣٠٠-٤٥٠٠ ق.م.) والعبيد (٤٥٠٠-٣٥٠٠ ق.م.) والوركاء (٣٥٠٠-٣١٠٠ ق.م.)، وعلى سبيل المثال تل قالينج آغا (إبراهيم، ٢٠١٨، ٢٢٨-٢٣٢؛ علي- وقادر، ٢٠٢١، ٤٢٥).

وفقا للتنقيبات المشتركة في العام ٢٠٠٦، بين (الجمهوريه التشيكية) و(قسم الآثار في جامعة صلاح الدين) و(الهيئة العامة للآثار والتراث في أقليم كوردستان العراق). عندما قامت هيئة التنقيب بإستخدام تقنيات حديثة مثل موجة الطاقة للمرور بين العناصر الصلبة تحت القلعة، وإستخدام التيار الكهربائي على إلكترونات سالبة وموجبة، وإستخدام التقسيم الدقيق الزلزالي لعملية إستجابة طبقات التربة. وأثبت الفحص عدم التجانس بين الطبقات الموجودة في باطن التل، وهي تدل على تدمير كتل من أبنية ضخمة حجرية أو آجرية، يعتقد أنها تشكل بقايا لعمائر آشورية (Nováček, et al., 2008, 260). وقد جمعت البعثة المشتركة مجموعة كبيرة من الكسر الفخارية خلال مسح آثاري من سفح الغربي لقلعة أربيل، وعملت على تصنيف الفخار وبذلك تمكنت تحديد الفترات الزمنية بدأً من العصر الحجري الحديث وعصر العبيد وعصر الوركاء، والفخاريات الآشورية الوسيطة ووجود عدد قليل من الفخار الآشوري الحديث والهلنستي والساساني وتنتهي بفخار العصور إسلامية (Nováček, et al., 2008, 271-277).

في العام ٢٠١٢، نقبت في القلعة (الهيئة العليا لصيانة وتأهيل قلعة أربيل)، بهدف معرفة طوبوغرافية القلعة والبقايا المعمارية، مع بيان تسلسل الطبقات التأريخية. ففي المرحلة الأولى قامت الهيئة باجراء مسح آثاري بإستخدام الصور الجوية والرادار

والتكنولوجيا الحديثة وأكد المسح على وجود أبنية وطبقات على عمق (٢٢م)، ثم تبعتها تنقيبات أثرية في منطقة (E) في الطرف الغربي من بوابة الأحمدي وقد أظهرت سور قلعة أربيل الذي يعود إلى الفترة العثمانية نحو (١٧٣٠م)، والطبقة السفلي كانت تعود إلى العصر الآشوري الحديث، ولكن تم تحديد تأريخ أقدم من ذلك الدليل بوجود الفخار ضمن احدى المناطق من منطقة(E) الذي يعود إلى نهاية الفترة الميتانية والعصر الآشوري الوسيط (١٥٥٠-١٠٠٠ ق.م.)، (علي- وقادر، ٢٠٢١، ٤٢٥).

ب: قلعة أربيل في ضوء اللوح الآشوري من عهد الملك آشوربانيبال (٦٦٨-٦٢٦ق.م):

يعتبر اللوح الحجري المنحوت لقلعة أربيل (الشكل٢)، أهم وثيقة مادية مرئية لمدينة أربيل. اللوح منقوش بشكل بارز في بعدين على اللوحة (رقم ٩). في أعلاه يظهر معمارية مدينة أربيل والبعد الأسفل يمثل معمارية مدينة سوسة. ما وجد في الحفريات في الغرفة (رقم١) شمال قصر اشور بانيبال في مدينة نينوى (الشكل١). المحفوظ حاليا في متحف اللوفر في باريس تحت الرقم (AO-19914). وعلى اللوح يوجد الاسم القديم لأربيل مدون بالكتابة المسمارية بالصيغة الآشورية (**أربائيل**) على جدار القلعة في اللوح الحجري بالمقاطع الرمزية (ur4-DINGIR)، (Russell, 1999, 184-185). ويُظهر في الجزء السفلي من النحت البارز مشهد يمثل هزيمة وأسر الملك العيلامي تيومان في سوسة. الجزء العلوي من المشهد يصور انتصار الملك آشور بانيبال وأخذ الملك العيلامي إلى أربائيل، والاحتفال أمام معبد عشتار وتقديم الذبيحة. (Reade, 1964, 6-13).

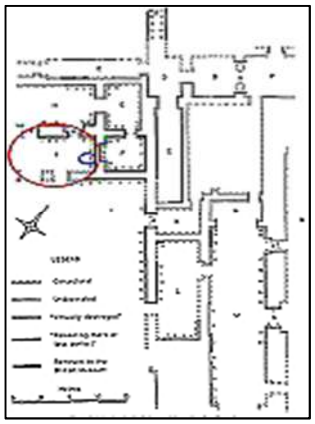

(الشكل١) تخطيط قصر الملك آشوربانيبال والمكان الذي عُثر اعلى اللوح في أربائيل، م. : (Reade, 1964, 13)

سيكون الجزء العلوي من هذا المشهد المنحوت لأربائيل القديم موضوع هذه الدراسة، حيثُ ويعاد رسمهُ بغية المقارنة بين الوحدات المعمارية للمدينة في ضوء الخصائص العمارة الآشورية، أشار المخطط الحضري الذي صمم مسبقًا لمدينة أربيل في عهد آشوربانيبال (٦٦٨-٦٢٧ ق.م). إلى تأريخ تلك اللوحة في حدود (٦٥٠ق.م)، أي قبل نحو ٢٨٠٠ سنة.

(الشكل٢) يبين الجزء العلوي للوحة الجدارية الآشورية المحفوظة برقم (AO-19914) في متحف اللوفر بباريس مأخوذة من:(MacGinnis, 2013, 80)

على الرغم من أن المشهد على اللوحة الحجرية مكسورة ومتضررة بشدة، فلذلك من الصعب التعرف بسهولة على جميع الأنماط المعمارية للمدينة. ويستند إلى إعادة رسم المشهد من قبل القيمين على المتحف البريطاني وقسم التاريخ بجامعة لندن في السنوات (٢٠٠٩-٢٠١٣)، (Russell, 1999, 184)، تبدو مباني المدينة أكثر وضوحًا، أنظر(الشكل٣). في ذلك السياق أعتمد على ملامح العمارة الآشورية في عواصم أخرى من آشور، في محاولة لإلقاء أكبر قدر ممكن من الضوء على المخططات والأنماط المعمارية للمدينة.

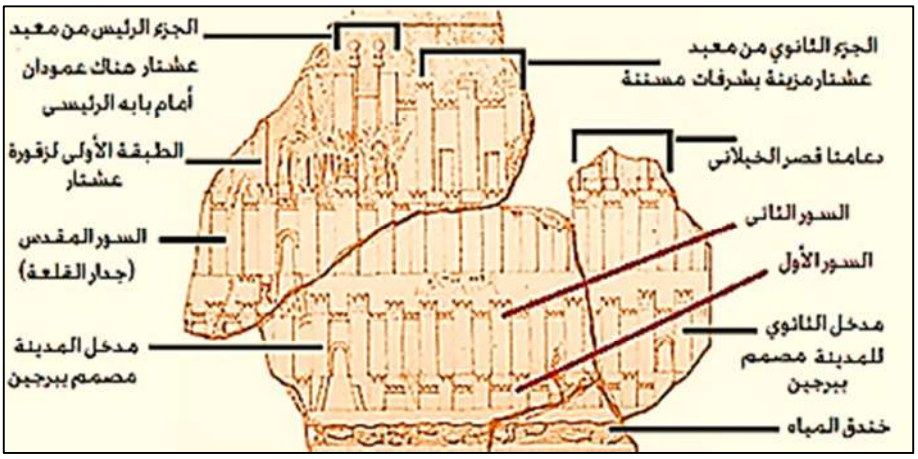

(الشكل٣) إعاده رسم لقلعة أربيل بإذن من المتحف البريطاني وقسم التاريخ بجامعة لندن. مأخوذة بتصرف من مصدر:(Russell, 1999, 184)

صور الملك آشوربانيبال في المشهد وهو يقوم بآخر ترميم لمعبد عشتار أربائيل. كما يقدم أدلة مهمة على وجود أساليب الأسوار والجدران الآشورية المتبعة في المدينة ومعبد عشتار أربائيل. بالإضافة إلى العديد من السمات المعمارية الإقليمية والتأثيرات الطبيعية لأربائيل القديمة ومحيطها، والتي ارتبطت ارتباطًا وثيقًا بحدود الطراز المعماري الآشوري في المدينة وأثرها على فن العمارة الآشورية والعكس صحيح، وسنأتي إلى شرحها لاحقًا.

ثالثاً: تحليل وتفسير مشهد اللوحة (AO-19914):

١. الخندق المائي في أربائيل: في أسفل المشهد يلاحظ كيف كان الفنان الآشوري يقوم برسم خندق مائي، يصور هذا خورًا مليئًا بالأسماك والبطط وسرطانات. مع ذلك أوضح أن ذلك النبع كان مصدرا رئيسيا للماء النقي، كما أشار إلى أهمية ذلك الخندق المائى للمدينة ولحياة سكان القلعة. يُعتقد أن حفر بناء الخندق ومنبع النبع، تم في عهد الملك سنحاريب (٧٠٤-٦٦٩ ق.م.). بعد بناء قناة بستوره، كما يشير إلى ذلك الملك بخط مسماري على الحجر فوق فتحة القناة، ينظر (سفر، ١٩٤٧، ٧٧-٨٦)، جلب الملك سنحاريب الماء من المصادر المائية النقية لجبال خانى (سفين، وبيرمام، وبنه باوى) لعد

تجميعها مع روافد النهر (سوسى، وزيارەت ، وقيرژه) ثم جلب الماء إلى قناة بستوره على مسافة ٣٣ كيلومتراً. ومن هناك إلى قلعة أربيل ٥٥ كيلومتراً. إنه كان أول من فعل ذلك من أجل إلهة الحرب عشتار في اربائيل، مما يجعل سنحاريب أول من يتولى أكبر مشروع إمداد المياه لمدينة أربيل وسجل إسمهُ وتأريخهُ في هذه المدينة.

أشار الملك في كتابتهُ إلى أنه أحضر الماء بشكل مستقيم!، لأن مستوى الأراضي في شمال غرب أربيل أعلى من أراضي سهل أربيل، حيث يكون تدفق المياه من أعلى إلى أسفل، وجلب المياه بشكل متعرج هو عكس الحركة الفيزيائية والأراضي المتعرجة تقلل من سرعة الماء، ينظر(سەعيد، ٢٠١٤، ٤١، ٤٩). مما يعني أن الملك خطط للمشروع مسبقا. يبدو أن مصدر المياه في المدينة قد تم تجديده باستمرار من قبل خلفاء سنحاريب، ومنهم أسرحدون (٦٨٠-٦٦٩ ق.م.) وآشوربانيبال (٦٦٨-٦٢٧ ق.م.).

مما لاشك فيه أن يكون هناك جسر للناس، لعبور الخندق الذي يمر عبرهُ مياه أربيل، ولكن بسبب الكسور العديدة في اللوحة الحجرية، فإن هذا المشهد ليس واضحًا تمامًا. يعتقد أن أحد الجسور كان على اليسار بالقرب من بوابة المدينة. تجدر الإشارة أن الجسور تعتبر من الانجازات المهمة التي ابتكرها سكان بلاد الرافدين، وهي تستخدم لعبور الناس من ضفة إلى اخرى، بالإضافة إلى نقل المنتجات الزراعية والصناعية إلى داخل وخارج المدينة.

٢. سوران خارجيان لمدينة أربائيل: في المشهد (الشكل٣)، يوجد سوران خارجيان في الجزء العلوي من الخندق المائي لمدينة أربائيل. حاول الفنان الآشوري إبراز السور الأول وهو أقل إرتفاعاً من السور الثاني، ويتصل مدخل السور الأول بالسور الثاني بوساطة رصيف شديد الانحدار، يتم الوصول إلى السور الثاني عن طريق بوابة كبيرة في المدينة (الشكل٤).

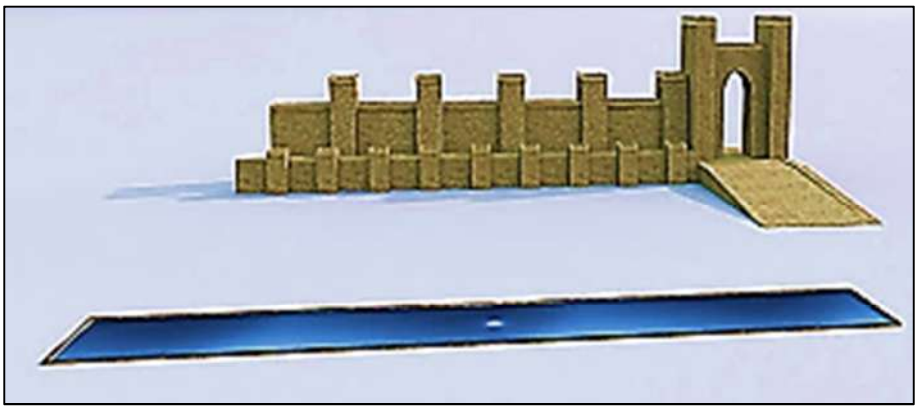

(الشكل٤) مشهد تخيلي لواجهة مدينة أربائيل، من إعداد: ميران خانقا، وبإشراف: الباحث

السور الأولى كان عبارة عن سور مسنن من الحجر لم يعد موجوداً الآن، وفقًا لكتاب معجم البلدان لـ**(ياقوت الحموي)** الذي يعدَ من المصادر البلدانية المهمة، حيث أنجزهُ في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، المعاصر لعصر الغزو المغولي للعراق. اشار ياقوت وقتها الى الخندق المتبقي وسور اربيل، وما سجل من خلالها من الأحداث وأشارت بوجود ((**تحصينات القلعة والخندق العميق الذي يحيطها وهي في طرف من المدينة، وسور المدينة ينقطع في نصفها وعلى تل عالي من التراب، وهي شبيهة بقلعة حلب** [٦]))، (الحموي، ٢٠٠٨، ١١٦).

يبدو أن مقارنة الحموي مبنية على وجود التشابه بين المدن المحصنة والقلاع في ذلك الوقت، من حيث وجود الخنادق والأسوار الدائرية والأبراج النصف الدائرية، مما يعني أن القلعتين متقاربتان من بعضهما البعض من حيث مراحل الحكم المتتالية. إلا أن ذكر اسم قلعة أربيل يعود إلى نهاية الألفية الثالثة قبل الميلاد، وأن القلعة بنيت على تل قديم يعود إلى الألف الخامس والرابع قبل الميلاد. لكن يعود تاريخ بناء قلعة حلب إلى العصور الوسطى ويمتد تاريخها من القرن الخامس إلى القرن الخامس عشر الميلادي، على الرغم من أن قلعة حلب بُنيت على قمة تل قديم وهي بقايا مدينة قديمة في وسط حلب التي تعود إلى مطلع الألف الثاني قبل الميلاد (شعث، ١٩٩٦، ١-١٠، ٥٤).

٢.١. السور الأول (السور الحجري): على الرغم من عدم وجود معلومات عن السور الخارجي الأول لمدينة أربيل، يمكن الاعتماد على الخصائص المعمارية لبقايا الأسوار

الآشورية الحديثة (٩١١-٦١٢ ق.م.) في العواصم الأخرى. ومن ابرز الخصائص المعمارية الآشورية شيوع استخدام الشرفات المسننة فوق الأسوار الضخمة الحجرية حول المدن، لغرض حماية المدينة والمباني المواجهة للأنهار. على سبيل المثال فأن سور نينوى المصنوع من حجر الحلان الأبيض يقدر ارتفاعه بـ (٦-٨ م)، وسمك الجدار حوالي (٣ م). وحجم الحجارة القياسية ما بين (١٥٠ سم × ٩٠ سم، ٣٨ × ٢٥ سم- ٣٠ × ٩٠ سم). تطورت هذه الأسوار الحجرية المسننة خلال الفترة الآشورية الحديثة بسبب التطور في الأسلحة العسكرية مثل مدافع الحجر (منجنيق) وأسلحة الحصار وكبش الحرب (سليمان، ١٩٧١، ٦٠؛ حسين، ١٩٩٠، ٨٧-٨٨).

السور الحجري المسنن في أربيل لم يكن مساويا في الارتفاع كما يتضح من المشهد (الشكلين ٢، ٣)، وقد استند إلى طبيعة سطح الأرض والارتفاع والانهيار الطبيعي للمنطقة، دفع وجود خندق للمياه أمام السور المعماري إلى رفع الجدار السور قليلاً، والعكس صحيح في المناطق التي لا يوجد بها خندق. لأن الخندق بمثابة تحصين طبيعي.

كانت كوردستان هي مصدر مقالع الأحجار للدولة الآشورية، حيث يقع الجزء الشمالي من أرض أربيل ضمن الأمواج الصخرية المنخفضة، وأقرب المناجم الحجرية التي تقع في سلسلة جبال (بيرمام وهيبت سلطان) الغنيان بأحجار الرخام الطباشيري، ينظر (سه‌عيد، ٢٠١٤، ٣١-٣٣، ٣٥-٥٧).

فيما يخص ذلك السور الأول (الحجري) لقلعة أربيل، يعتقد الآثاري (**جون ماكينز**) أن (**السور الحجري-السور الأول) في أربيل قد دُمر تمامًا في منتصف القرن السادس عشر الميلادي**)) استناداً إلى مخطوطة عثمانية، كشفت عن هذه الحقيقة في السلسلة الوثائقية Zagrosica Antiqua-9[٧]، حاول الباحث جاهداً الحصول على الوثيقة ولكن لم يتمكن من ذلك، على الرغم أن هناك احتمال بأن هدم السور كان لمنع الانتفاضات الكوردية ضد الدولة العثمانية في كوردستان العراق (١٥٣٤ - ١٩٢٠).

٢.٢. السور الثاني (جدار الآجر): كان السور الخارجي الثاني عبارة عن جدار مسنن من الآجر المشوي أعلى من السور الحجري الأول. يفصل بينهما ممر ضيق لا يقل عرضه عن ثلاثة أمتار، ويختلف من مدينة إلى أخرى. وفي مدينة نينوى يبلغ عرض هذا الممر

ثلاثة أمتار تقريباً، أما إرتفاعهُ فيتراوح بين ٤-٦ أمتار أو أكثر. ولهذا الممر فائدة تعبوية مهمة اثناء المعركة لأنه يتسع لعدد كبير من الجنود المدافعين ويمكنهم من التنقل بأمان ونقل المعدات العسكرية (حسين، ١٩٩٠، ٨٦). وقد يكون ممر قد استُخدم لنصب الكمائن العسكرية.

توجد **بوابة كبيرة** ورئيسة للمدينة في مشهد أربائيل (الشكل٣)، أمامها موقد النار عمودية الشكل، والباب لها عقد النصف الدائري. يمكن رؤية شكل البوابة نفسه اليوم في بقايا بوابة ((ماشكي))[٨] في جهة سور نينوى الغربي في أقصى-الشمال من هذا الضلع، ينظر (الشكل٥).

إلى يمين المشهد لأربائيل (الشكل٣)، توجد **بوابة ثانية** من السور الثاني للمدينة، وهذه البوابة أصغر من الأول وتستخدم كأحدي بوابات الرئيسية للدخول إلى المدينة. وهكذا كان لمدينة أربيل عدة مداخل في جدارها الحجري الخارجي، كما يتضح من بقايا البوابات لمدينة نينوى البالغة عددها ثمانية عشر-بوابة (عبد الله، ٢٠١٧، ٢٣٤)، مع ذلك، لا تزال الحفريات ضرورية لتأكيد رأي علماء الآثار حول عدد البوابات في مدينة أربيل القديمة.

(الشكل٥) الواجهة الخارجية لبوابة ((ماشكي)) داخل السور الثاني من الآجر، وجزء من السور الحجري المسنن في نينوى. صُوَرت من قبل الباحث بتأريخ ٢٠١٣/٤/٢٤

يُلاحظُ في المشهد أن خصائص العمارة الآشورية تنعكس في اللوح، إذ تمتاز العصر الآشوري الحديث ببناء اسوار الآجر على أساس حجري صلب في نينوى يتراوح سمكه بين ١٥-٤٥ متراً عند القاعدة، وللسور طلعات ودخلات، الطلعات أكثر سمكًا بحيث لا يسهل هدمه أثناء هجوم عسكري، كما كان ذو ميزة زخرفية معمارية. وكانت الآجر مربعة الشكل بقياس ٣٨ سم، وبسمك مابين ١٢-١٨ سم. فقد وضع المعماري الآشوري طبقة من الحصير أو ما يعرف بـ(البواري) بين كل ١٠-١٥ صفًا من الآجر لمنع وصول الرطوبة إلى الأجزاء العليا من السور. كذلك أستعمل الرمل الجاف في الأجزاء السفلي من السور بدلاً من التربة والطين ويعزي ذلك لتسوية الأساس الذي يرتكز عليه السور (حسين، ١٩٩٠، ٧٨-٨٧).

٣. المركز المقدس وجدرانه المقدسة: في العصر الآشوري الحديث (٩١١-٦١٢ ق.م)، تعامل الآشوريون مع مركز المدينة باعتباره جزءًا مقدسًا نظراً للهياكل المعمارية لذلك الجزء المركزي المهم من المدينة، وكان يطلق عليه ((Libbi-āli)) أي (**قلب المدينة**). والجدران المحيطة بتلك المنطقة المقدسة لها تسمية خاصة وهي ((temenos)) بمعنى (**سور أو الجدار المقدس**) وفي الأساس كان الجدار من اللبن المشوي الداخلي للقلعة (بلباس، ٢٠٢٢، ٥؛ الجبوري، ٤٤، ٣٠١).

في المشهد (الشكل٣)، تشترك مدينة القلعة أربائيل في مميزات العواصم الآشورية الأخرى، ولا سيما في اختيارها بعد العاصمة الآشورية كما ترى في كالخو ونينوى وخرساباد، لذلك عندما بنى الملوك مدنًا جديدة، جعلوا المبنى على أعلى نقطة في المدينة واستخدموه لبناء المباني الرئيسية والعامة وتحصينها كجزء مقدس، وعادةً أحاطوا الجزء الأوسط من المدينة، بأسوار ومباني ثانوية. بالنسبة لتخطيط المدينة، جعلوها أعلى من مستويات الأجزاء الأخرى من المدينة (بلباس، ٢٠٢٢، ٢٧-٣٠، ٧٠)، وخاصة تلك التي ترتفع فوق مستوى السهول المجاورة، على غرار ما يسمى بـ(أكروبولس)، (بلباس، ٢٠٢٠، ٢٢٢).

٤. المركز المقدس والمبنى المقدس: كانت للمدينة الآشورية المحصنة ميزات فريدة خلال الفترة الآشورية الحديثة (٩١١-٦١٢ ق.م) أيضاً، فقد برز الجزء المركزي من

المدينة التي تحتوي على المباني المقدسة والرئيسة، بما في ذلك (الزقورات والمعابد والقصور). في أربيل، كانت المباني الدينية والدنيوية الرئيسة في تلك الفترة تقع في وسط المدينة وتحيط بها الجدران المقدسة (الشكل٣)، لإعطاء قدر أكبر من القداسة، تم استخدام المصاطب الاصطناعية، والتي ميزتها بارتفاع المكان عن المباني المحيطة، لعدة أسباب، وهي:

٤.١. أسباب بيئية: رفع المبنى فوق مستوى الأرض ومحيطه بحيث يكون أساس المبنى والجزء السفلي من الجدران أكثر أماناً من آثار الرطوبة والملح والمياه الجوفية.

٤.٢. أسباب إنشائية: تم تصميم المصطبة كأساس قوي ولتتحمل ثقل هذه المباني الضخمة.

٤.٣. أسباب دينية: يمثل وجود المصطبة تطهير المبنى من الأرواح الشريرة، وقد تم استخدامه دائمًا كأساس لإعداد وإعادة بناء مبنى جديد متين.

٤.٤. أسباب فكرية وروحية: إضفاء الكرامة على المباني العامة مثل المعابد والقصور بجعلها أعلى ومختلفة عن المباني الأخرى المحيطة بها (بلباس، ٢٠٢٠، ٥٢، ١١٣).

٥. القصر الخيلاني في أربائيل: في يمين المشهد (الشكل٣)، توجد بقايا القصر، لم يبق إلا أساس لعمودين أمامه وتفاصيل أخرى مكسورة. وبعد دراسة متأنية للأنماط المعمارية، تم التوصل إلى أنه يشير لوجود قصر- على الطراز المعماري الخيلاني في أربيل في عهد آشوربانيبال (٦٦٨-٦٢٧ق.م)، (الشكل٦). من الجدير بالذكر أن النمط الخيلاني (يمتاز بمدخل تتقدمهُ سقيفة محمولة على عمودين أو أكثر، تؤلف السقيفة المحمولة الإيوان يرتقي أليها بعدة درجات. توجد خلف الإيوان غرفتين طويلتين ضيقتين توازي بمحورها العرضي واجهة القصر، حيث تؤدي الإيوان إلى الغرفة المهمة الأخرى وهي قاعة العرش، وأحياناً بنيتُ غرف أخرى ذو الوظائف الخاصة تلصق بمحورها الطولي)، (بلباس، ٢٠٢٢، ١٧٩). عثر على هذا النمط من القصر باستثناء أربيل، في عاصمة آشورية (خرسباد)، التي بناها سرجون الثاني (٧٢١-٧٠٥ق.م) مع بناء العاصمة الجديدة لدولته (Frankfort, 1970, 150-152).

ظهرت الطراز الخيلاني لدى الميتانيين حوالي (١٦٠٠-١٢٦٠ ق.م) وبعد سقوط دولتهم تم تطويرها من قبل المملكة الحيثية الحديثة (١٣٥٠-١١٩٠ ق.م)، فأصبحت جزءًا من الطراز المعماري للشعوب الحاكمة في شمال بلاد الرافدين (بلباس، ٢٠٢٢، ١٨٤-١٨٦)، وفي ذلك تأثر الآشوريون بالعمارة الإقليمية المتبعة، والإحتياجات البيئية لشمال بلاد الرافدين، ولقد قلدوه في معمار قصورهم. بقي أسلوب الخيلاني على حاله وأصبح ملاءمته تقليدًا وأصبح الحفاظ عليه تراثًا زاكروسياً لا يزال متبعًا في بعض القرى التأريخية النموذجية في كوردستان تركيا، وإيران. في أربيل توجد نماذجه مع تعديلات طفيفة كما في بناء المنازل في رواندوز (١١٧ كم شمال محافظة أربيل)، (محمد-وئيسماعيل، ٢٠١٥، ١٠١-١١٥). أي أن هذه المدينة القلعة (أربائيل) وشعبها القديم كان لهم ثقافتهم المعمارية الخاصة منذ بزوغ التأريخ، حيث أثروا لاحقًا على الشعوب التي جاوروها.

(الشكل٦) مشهد تخيلي لقصر الخيلاني الآشوري في أربائيل، من إعداد: ميران خانقا، وبإشراف: الباحث

٦. معبد عشتار الحرب في مدينة أربائيل: في منتصف المشهد (الشكل٣) هناك مركز لعبادة إلهة عشتار أربائيل، ورد اسمها في النصوص الآشورية بـ((E$_2$-gašan-KALAM.MA)) والذي يعني (**بيت سيدة الاقاليم**). في ذلك الوقت، اشتهرت أربائيل

بعبادتها داخل الحدود الآشورية (George, 1993, 90). أمام المدخل الرئيس للمعبد تقام مراسم سكب السائل المقدس، على الرغم من تضرر جزء من المشهد بشدة، مع ذلك، فإن مظهر الرجل الذي يشبه وضعيته وملابسه تلك الخاصة بالملوك الآشوريين، والذي يبدو أنه آشوربانيبال نفسه يقوم بطقس صب المقدس على رأس ملك إيلام (تيومان) مقطوع الرأس يوضع أمام مائدة قرابين (MacGinnis, 2013, 80).

تتكون التصاميم المعمارية للمعبد من جزأين، ينظر (شكل٢) يتميز الجناح الرئيسي في المعبد بوجود عمودين طويلين من البرونز أمام الباب يرمزان إلى ملكية المعبد للألهة عشتار. الباب عقدهُ نصف دائري. في الجناح الثاني للمعبد وهو غير رئيسي- ثمة إشارة بوجود بابين آخرين عقودهما مستقيمة. في الجناح الثاني للمعبد في مشهد مكسور. على الرغم من قلة التفاصيل، لا توجد معلومات حول تخطيط المعبد. إلا أنهُ من الملاحظ أنَ معبد عشتار في أربيل كان مشابهًا في كثير من النواحي المعمارية لمعبد عشتار كيتيتوم وهي بقايا مدينة (نيريبتوم) القديمة في ديالى، الذي وجد في الحفريات تل أشجالي، ينظر (شكل٧).

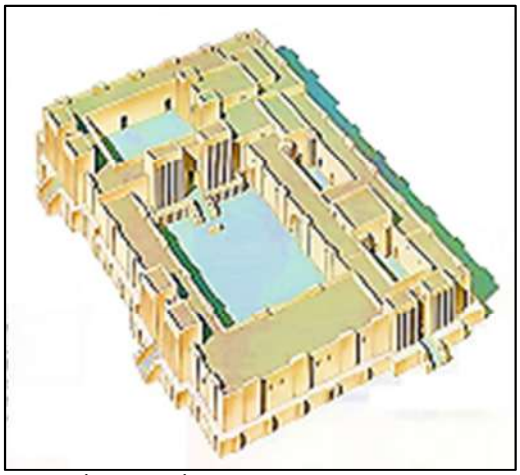

(الشكل٧) مرتسم مجسم لمعبد عشتار كيتيتوم في أشجالي، مأخوذة بتلوين من:
(Hill, et-all, 1990, figure2)

يبدو أن معبد عشتار في ديالى كان أكبر من حيث المساحة من معبد عشتار أربائيل (الشكل٧). لعل ذلك يرجع لضيق المساحة البينية بين الأبنية الرئيسة (القصر- والمعبد

والزقورة) في أربائيل. لذا تختلف عن المعبد عشتار في اشجالي إذ بنوا المعبد في مساحة واسعة مستطيلة ومنفردة من اللواحق البنائية تقدر بِ (١٠٠×٦٥م)، (Hill, et-all, 1990, 11,26). أو بسبب ضبط المعمار لعرض التناسق في حال عدم لصق المعبد بالزقورة، أو إكتفاء المعبد بتلك المساحة، إعتماداً على عدد السكان في قلعة المدينة أربيل آنذاك.

إن الإختلاف في المساحة البنائية لم تؤثر على هيبة المعبد نفسها بل ربما كان الهدف منها تقليص عدد الكهنة، لأن عبادة عدد من الألهة الثانوية داخل معبد الألهة الرئيسة من سمات معابد الألف الأول قبل الميلاد، أجبرت المعمار على أنشاء عدة حجرات للألهة في مساحة معبد الواحد كمجمع المعابد وكانت كل حجرة نوعاً ما مستقلة عن الأخرى، مما اتسم المعبد بإسم إلهها الرئيس (بلباس، ٢٠٢٢، ٦). يلاحظ ذلك بوضوح في معبد عشتار كيتيتوم في أشجالي الذي أحتوي على ثلاث حجرات آلهة وتشتهر بإسم معبد عشتار الرئيس. كما أشارت إلى ذلك الآثاري (**آندرية جورج**) بعبادة الإلهة ننليل ضمن حجرة خاصة بها في معبد عشتار في أربيل (George, 1993, 90). وذكرت الهة أربيل بقسم واحد في المعاهدة التي عقدها الملك اسرحدون (٦٨٠-٦٦٩ق.م) مع اماتا حاكم مدينة اركازابانو الميدية، حيث نقرأ ((..... **اقسم عليكم بجميع الهة أربائيل**))، (إبراهيم، ٢٠١٠، ٣٣).

٧. زقورة عشتار الحرب في مدينة أربائيل: في الجانب الأيسر من المشهد (الشكل٣)، يظهر الطابق السفلي الأول من الزقورة، كما هو موضح في الزاوية المكسورة من مشهد مدينة أربائيل، هذا القسم لا يدخل في كل التفاصيل ولكن بعد البحث وجدت بعض التفاصيل عن زقورة عشتار في اربيل وتوجد أدناه جدران الزقورة بطبقتها الأولى بدون طلعات ودخلات. كذلك جدران الزقورة غير متلاصقة مع جدران المعبد، مما يعني أن الزقورة والمعبد منفصلان، ولكنهما متجاورتان. هكذا فأن الزقورة بنيت فوق مصطبة مع المعبد والقصر. يبدو أن الزقورة، مثل الزقورات الآشورية الأخرى، قد بُنيت على مخطط مربع تميزت بحقيقة أن ارتفاع الزقورة يتوافق مع طول القاعدة. ومع ذلك، فإن الزقورة تختلف من مدينة إلى أخرى، من زقورة إلى زقورة اخرى، إذ تتراوح بشكل عام بين ٣-٧ طبقات (جرك، ١٩٩٨، ٦٥-٦٨). عادة ما يكون مساحة المعابد المنخفضة أكثر فخامة من مساحة المعابد ذات الزقورات العالية. هكذا يوجد في الطابق الأخير-

العالي من الزقورة معبد صغير مخصص للإلهة عشتار أربيل، كميزة معمارية للزقورات الرافدينية، والتي لا يمكن زيارتها إلا من قبل الكهنة والملوك والأمراء، ولكن معبدها على الأرض مفتوحة للجميع (بلباس، ٢٠٢٢، ٥-٦).

- بعد الانتهاء من هذه الدراسة تم التوصل الى الاستنتاجات التالية:

أولاً- على العموم أن أربيل (القلعة والتل) هي من المواقع الوحيدة من بين أربعة مواقع حضرية كبيرة من العصر الآشوري الحديث التي لم يتم التنقيب فيها بالكامل. لا يزال يتعين على علماء الآثار الخوض في عمق الطبقات الآشورية في المدينة. على الرغم من إجراء التنقيبات الأثرية مؤخراً في أماكن مختلفة على سطح القلعة. بشكل عام، واستخدمت في هذه التنقيبات التكنولوجيا الحديثة التي وفرت معلومات حول عمق التل الذي بنيت عليه قلعة أربيل. أثبتت تلك النتائج ان أربيل منذ أواخر الألفية الرابعة قبل الميلاد. كانت مدينة قائمة تقع فوق المدينة القديمة، ودلت على أن أربيل مرت بمراحل التطور العمراني من خلال استكشاف بقايا الحضارات اللاحقة.

ثانياً- تبين أن ارتفاع المباني المنهارة في الأسفل بلغت نحو ٥ أمتار. وهذا ما جعلت الحفريات صعبة، حيث لا يزال التاريخ القديم للمدينة وهندستها المعمارية مخفيًا إلى حد ما. لذلك، فإن اقتناء أي بقايا أثرية تتعلق بالمدينة، سواء كانت مادية أو معنوية، مكتوبة أو مرسومة، لها معنى خاص بها.

ثالثاً- بالنتيجة لم تصبح أربيل العاصمة الرسمية للآشوريين، لكنها كانت مقاطعة عسكرية وإدارية ودينية مهمة ومحافظة على خصائص العواصم الآشورية. كانت أربيل من المدن القلاع. إن مظهر الجزء الأوسط من المدينة واضح للعيان، لا سيما ما يرتفع فوق مستوى السهل المجاور، وخصص لبناء المعابد والقصور والزقورات. من السمات المميزة للعصر الآشوري الحديث (٩١١-٦١٢ قبل الميلاد) أن مدينة أربيل تشترك في نفس خصائص العواصم الآشورية الأخرى. كما بنى الملوك مدنًا جديدة خاصة تلك التي اختاروها كعواصم للبلاد مثل كلخو ونينوى وخرسباد لأن العمارة المقدسة احتلت الجزء العلوي من المدينة وعملت على بناء المباني الرئيسية والعامة، وكانت تحصيناتها، مثل الجزء المقدس بشكل عام، تقع في الجزء الأوسط من قطعة الأرض بالمدينة وكانت محاطة بالجدران والمباني الملحقة .

رابعاً- تـأثر الآشـوريون بأسـلوب الخـيلاني الـذي يمثـل الطـابع العـماري الإقليمـي لشعوب كوردستان القديم، ودفعت المتطلبات البيئية لشمال بلاد الرافدين الآشوريين إلى تبني هذا النمط المعماري ودمجه في عمارة قصورهم. تم اختراع هذا الطـراز المعـماري مـن قبـل القـرويين في المنـاطق الجبليـة. إنـه الطـراز المعـماري الأصـلي لسـكان جبـال زاكروس القدامى قبل وصول الآشوريين إلى هذه المناطق.

خامساً- يسبق بناء معبد عشتار إلهة الحرب في أربيل تـاريخ الآشـوريين ولـه تـاريخ طويل، وسمي معبدها عـلى اسـم معابـد عشـتار في نينـوى وآشـور. تـم بناؤهـا مـن قبـل الخوريين، مثلما شيدوا بناء معبـد عشـتار في كاسـور(نوزي)، والـذي يعـود تاريخـه إلى عصر فجر السلالات الثالث (٢٩٠٠-٢٣٥٠ قبل الميلاد). من المحتمـل أن عبـادة عشـتار في أربيـل سـبقت بنـاء معبـدها في عصر ـ الوركـاء (٣٥٠٠-٣١٠٠ق.م)، لأنـه اسـتمرت الشعوب في تقديسها وتبجيلها وبناء المعابد لها، لكن عدم وجود سجلات مكتوبة يجعل إثبات ذلك ليس أكيداً في الوقت الحاضر.

- قائمة المصادر والمراجع:

- المصادر العربية:

١- إبـراهيم، إبتهـال عـادل (٢٠١٠)، أربيـل ومكانتهـا الدينيـة في العصر ـ الأشـوري الحـديث (٩١١-٦١٢ق.م.)، (مجلـة الدراسـات التأريخيـة والحضـارية)، جـزء٢، مجلـد٦، جامعـة تكريت، العراق.

٢- إبـراهيم، نعـمان جمعـة (٢٠١٨)، المظـاهر الحضـارية في منطقـة أربيـل خـلال العصر ـ الحجـري المعـدني (الكالكوليتي) في ضـوء التنقيبـات الأثريـة (قـالينج آغـا نموذجـاً)، بحوث المؤتمر العلمي الدولي الثاني، آثار وتراث هـ ولـير- اربيـل في٨-٩/ آذار، قسـم الآثار، كلية الآداب، جامعة صلاح الدين، اربيل بالتعاون مع محافظة أربيل.

٣- إسماعيل، فاروق (٢٠١٩)، شُبَت إنليل ((تل ليلان)) حـاضرة الجزيـرة السـورية في القـرن ١٨ق.م.، دار الزمان، دمشق.

٤- باقر، طه (٢٠٠٩)، مقدمة في تأريخ الحضارات القديمة، جزء١، دار الوراق، بيروت.

٥- بلباس، كاروان صديق بكر (٢٠٢٠)، المعابد الطولية من عصر ـ العبيـد حتـى نهايـة العصر ـ البابلي القديم (٤٠٠٠-١٥٩٥ق.م)، دارتموز، دمشق.

٦- بلباس، كاروان صديق بكر (٢٠٢٢)، الطرز العمارية للمعابد في بلاد الرافدين من الألف الرابع قبل الميلاد حتى منتصف الألف الأول قبل الميلاد (دراسة آثارية عمارية)، أطروحة الدكتوراه غيرمنشورة، كلية الآداب، جامعة صلاح الدين، قسم الآثار.

٧- جرك، أوسام بحر (١٩٩٨)، الزقورة ظاهرة حضارية مميزة في العراق القديم، رسالة ماجستير غيرمنشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، قسم الآثار القديمة.

٨- حسين، حمد حمودي (١٩٩٠)، التحصينات الدفاعية في العاصمة الآشورية ((في ضوء تحصينات مدينة نينوى))، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل، قسم التأريخ القديم.

٩- حنون، نائل (٢٠٠٩)، مدن قديمة ومواقع أثرية دراسة في الجغرافية التأريخية للعراق الشمالي خلال العصور الآشورية، دارالزمان، دمشق.

١٠- درويش، نضال محمود حاج (٢٠١٧)، مملكة أوركيش الخورية (تل موزان) دراسة تأريخية وأثرية، قامشلو-سورية.

١١- سفر، فؤاد (١٩٤٧)، أعمال الأرواء التي قام بها سنحاريب، (مجلة سومر)، مجلد٣، جزء١، بغداد.

١٢- سليمان، عامر (١٩٧١)، نتائج حفريات جامعة الموصل في أسوار نينوى، (مجلة آداب الرافدين)، عدد١، الموصل.

١٣- شعث، شوقي (١٩٩٦)، قلعة حلب دراسة في تأريخ القلعة وآثارها، دارالقلم العربي، حلب.

١٤- شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرَّومي البغدادي، (٢٠٠٨م)، معجم البلدان(ت٦٢٦هـ)، طبعة مصححة ومنقحة قدَم لها: محمد عبدالرحمن المرعشلي، المجلد الأول، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٥- عبدالله، عمار حسين مصطفى (٢٠١٧)، بوابات العواصم والقصور الآشورية، دار صفحات، دبي.

١٦- علي، نرمين محمدأمين- وقادر، عبدالله خورشيد (٢٠٢١)، قلعة أربيل بين التنقيبات الأثرية والمصادر التأريخية، مجلة الدراسات في التأريخ والآثار، مجلد٧٩، بغداد.

١٧- القره داغي (٢٠٠٨)، كردستان العراق في التأريخ القديم في ضوء المصادر المسمارية من الألف الثالث ق.م حتى ٦١٢ق.م، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة السليمانية، كلية العلوم الإنسانية، قسم التأريخ.

١٨- الهموندي، أرام جلال حسن (٢٠١٧)، نصوص مسمارية غيرمنشورة من مدينة بيكاسي في العصر البابلي القديم، دارتموز، دمشق.

- المصادر الإنجليزية:

1- Archi, A. (2015), Ebla and Its Archives, (Studies in Ancient New Eastern Records-SANER), Vol.7, DE GRUYTER, Germany.

2- Eidem, J., and Laessoe, J. (2001), The Shemshara Archives, Vol.1, The letters, Copenhagen.

3- Eidem, J. (1985), News from The Eastern front, (IRAQ Journal), Vol.47, British Institute for the Study of Iraq, London.

4- Frahm, E. (1997), EINLEITUNG IN DIE SANHERIB-INSCHRIFTEN, (Archiv fur Orientfrschung-AFO), Beihefte.26, Universität Wien, German.

5- Frankfort, H. (1970), The Art and Architecture of the Ancient Orient, London.

6- George, A.R. (1993), House most High the temples of ancient Mesopotamia, Indiana.

7- Grayson, A.K. (1987), (Royal Inscriptions of Mesopotamia-RIMA), Assyrian Rulers of the third and second Millennia BC. (To 1114-859 B.C.), Toronto.

8- Hill, H.D., et-all (1990), Old Babylonian Public Buildings in the Diyala Region, (oriental institute Publications-OIP.), Vol.98, Chicago.

9- MacGinnis, J. (2013), Erbil in The Cuneiform sources, Erbil.

10- Nissinen, M. (2003), Prophets and Prophecy in The Ancient Near East, Society of Biblical Litrature-SBL), Vol.12, Netherlands.

11- Nováček, K., et-al. (2008), Research of the Arbil Citadel, Iraqi Kurdistan, First Season, PAMÁTKY ARCHEOLOGICKÉ, Vol.49, CZECH.

12- Reade, J.E. (1964), More Drawings of Ashurbanipal Sculptures, (IRAQ Journal), Vol.26, No.1, British Institute for the Study of Iraq, London.

13- Russell, J.M. (1999), The Writing on the Wall, studies in the architectural context of late Assyrian palace Inscriptions, Indiana.

- المصادر الكوردية:

١- ئەحمەد، کۆزاد محەمەد (٢٠٠٨)، کوردستانی ناوەڕاست لە نیوەی یەکەمی هەزارەی دووەمی پ.ز. دا، چاپی٢، بنکەی ژین، سلیمانی.
٢- زیباری، محمدأمین عزیز- هموندی، ئارام جلال حسن (٢٠١٨)، شۆڕش و ڕاپەڕینەکانی شاری هەولێر لەماوەی (٢٣٣٤-١٥٩٥پ.ز) لەڕوانگەی تێکستە مێخییەکاندا، پڕۆسیدینگی دووەمین کۆنفرانسی زانستی نێودەوڵەتی شوێنەوار وکەلەپوری هەولێر- اربیل لە٨-٩/ ئایار، ئامادەکردنی: پ.ی.د.زێدان ڕەشید برادوستی، د.دلشاد عزیز زاموا، بەشی شوێنەواری کۆلێژی ئەدەبیاتی زانکۆی سەلاحەدین-هەولێر بەهەماهەنگی پارێزگای هەولێر.
٣- فیلهیلم، گیرنوت (٢٠٠٩)، شارستانییەتی خوریەکان، و: ئارام جەلال هەمەوەندی، موکریان، هەولێر.
٤- سەعید، کامەران تاهیر (٢٠١٤)، جوگرافیای عێراق سروشتی، چاپخانەی نارین، هەولێر.
٥- محمد، خەلیل ئیسماعیل- وئیسماعیل، ئەیوب خەلیل، (٢٠١٥)، گوندنیشنی لە هەرێمی چیایی (پارێزگای هەولێر بەنموونە)، ناوەندی مێژوویی جەمیل ڕۆژبەیانی، چاپخانەی پەنجەرە، تاران.

- الهوامش:

١- الخوريون: أحد أقدم شعوب الشرق القديم، وتنتمي لغتهم المعروفة باللاصقة إلى العائلة الشمالية الشرقية للغات القوقازية. يعتقد بأن الخوريين هم نفسهم -السوباريين- سكان شمال بلاد الرافدين الذين ذكرهم في نصوص تعود إلى عصر فجر السلالات الثالث (٢٦٠٠-٢٣٥٠ق.م.)، (فيلهيلم، ٢٠٠٩، ٩). يعتقد بأن المناطق الواقعة على جانبي المجري العلوي لنهر دجلة وروافدهُ الشرقية كانت الموطن الأولى للخوريين في الشرق القديم، ولكن بدءاً من عهد الأكدي تطلق سوبارتو على المنطقة الواقعة بين دجلة والبليخ، تقريباً قلب المنطقة التي تسمى لاحقاً بلاد آشور (ئەحمەد، ٢٠٠٨، ٢٦-٤٠).

٢- سيموروم: الاسم القديم للمدينة والمملكة، لم يتم العثور على الموقع بعد ويعتقد الباحث أنه الآن بالقرب من التون كوبري في كوردستان العراق (ئەحمەد، ٢٠٠٨، ٢٢٩).

٣- قابرا: أو قبرا، الاسم القديم لمدينة مهمة كانت تقع في السابق بين كركوك وأربيل، في شمال الزاب السفلى (Eidem, 1985, 84).

٤- أشنونا: تل أسمر اليوم، تقع على بعد ٨٠ كم شمال شرق بغداد وخلال أوجها امتد نفوذها عبر محافظة ديالى الحالية وإلى مناطق كركوك وصولاً إلى سهول أربيل، حتى قضي عليها حمورابي عام ١٧٦١ق.م (باقر، ٢٠٠٩، ٤٥٢-٤٥٣).

٥- التوروكيون: توروكتي هو اسم لوالد (پيشيندين) ملك مقاطعة أيتابالخوم (شمال غرب زاكروس)، الذي وجد طبعة ختمهُ في شمشارة(جنوب شرق مدينة رانية في كوردستان العراق)، توروكو ينتظمون في ممالك يحمل ملوكها أسماء خورية، وكانوا كلهم تحت لواء (الملك العظيم)،(ئەحمەد، ٢٠٠٨، ٢٥٤-٢٥٥).

٦- قلعة حلب: تقع في وسط مدينة حلب فوق تل قديم على شكل جزع مخروط قاعدته السفلية أبعادها (٥٥٠م×٣٥٠م) وقاعدته العلوية التي تقبع عليها القلعة تبلغ (٣٧٥م×٢٧٣م)، وترتفع حوالي ٥٠ متراً عن مستوى المدينة. قلعة حلب يعود إلى العصور الوسطى، أما تعتبر استخدام التل الذي تتوضع عليه القلعة إلى الألفية الثالثة قبل الميلاد، حيث احتلتها فيما بعد العديد من الحضارات بما في ذلك الإغريق والبيزنطيون

والمماليك والأيوبيون، بينما يظهر أن أغلب البناء الحالي يعود إلى الفترة الأيوبية (شعث، ١٩٩٦، ٤-١٢، ٥٤-٥٩).

٧- للاطلاع حول السلسلة الوثائقية (زاكروس العريق) أنقر لهذا الرابط (https://youtu.be/TWoU2Z817Bg).

٨- بوابة ما شكي: تعرف باسم باب المسقي وكانت تستخدم لسقاية المواشي بالقرب من نهر دجلة الذي يبعد عن هذه البوابة حوالي ١.٥ كيلومتر غرباً (عبد الله، ٢٠١٧، ٢٥٦-٢٥٧).

پوختە:

پلانی تەلارسازی لە قەڵای هەولێر لە ژێر ڕۆشنایی کۆتەڵێکی بەردینی نەخشکراوی ئاشووری پارێزراو لە مۆزەخانەی لۆفەردا

تـوێژینەوەکە بەناونیشـانی (پلانـی تەلارسـازی لە قەڵای هەولێـر لە ژێـر ڕۆشـنایی کۆتـەڵی بـەردینی نەخشـکراوی ئاشـووری پـارێزراو لە مۆزەخـانەی لـۆفەر)ە، بـابەتەکە تەلارسـازی شـاری هەولێـر لە ژێـر ڕۆشـنایی ئەو بەردە مەڕمەڕەدا نیشـان دەدات، کە بە دیمەنی قەڵای هەولێر نەخشێنراوە. لە ئێستادا لە مۆزەخانەی لۆفەر لە پاریس بە ژمـارەی (AO-19914) پارێزراوە. نووسینە میخییە ئاشـوورییەکان دەیسـەلمێنن، هەولێـر کە نـاوە کـۆنەکەی (ئەربـا-ئیـل) ە، بە یەکێـک لە گـرنگترین شـارە قەڵادارەکـانی ئاشـووری دادەنرێت لە سەردەمی ئاشووری نـوێ (٩١١-٦١٢ پـێش زایـین)، لەگەڵ پایتەختەکـانی دیکەی ئاشووری وەک (ئاشوور، نەینەوا، خورسـاباد، وکـالخو). بەهـۆی هەڵـکەوتەی گرنگی شارەکە لە نێوان ناوچەکانی ناوەڕاستدا وە ناوچەکـانی دەوروبەری سـنووورەکانی دەوڵەتی ئاشوور، وەک چۆن بە یەکێک لە گەورەترین شارە قەڵادارەکانی ئەو سەردەمە دادەنرێت، وبەیەکێك لە ناوەندە شارەکان لە دەوڵەتی ئاشووری دادەنرێت.

چڕی دانیشتوان وچالاکی ئابووری وکـاریگەریی ژیـنگەی سروشـتی وپێکهـاتەی جوگرافی ومـاددی شـاری هەولێـر ڕۆڵێکـی کارایـان لە ژیـانی ئاشـوورییەکاندا هەبـوو. ئاشـــوورییەکان هەمیشـــە هەولێریـــان وەکـــو پارێزگـــای ســـەرەکی خۆیـــان دەزانـــی وپارێزگارێکی تایبەتیان هەبوو لەوشارە، کە پێداویستییەکانی بۆ سوپای ئاشووری دابـین دەکرد و بۆ هەڵمەتی جەنگ پڕچەکی دەکردن. بۆیە جگە لە شارەکانی ئاشوور ونەینەوا، هەولێر ڕۆڵێکی گرنگـی ئـایینی دەگێڕێـت وەک ناوەنـدێکی پەرسـتن بـۆ خوداوەنـدی عەشـتاری جـەنگ وئەنجامـدانی چەنـدین ڕێوڕەسـم بـۆی، چونکـە ناوەنـدی ئامـاژە ئایینیەکان وچاودێری فەلەکی پاشاکانی دەوڵەتی ئاشوور بوو.

وشە سەرەکییەکان: تەلارسازی ئاشـووری، شـاری هەولێـر، خوداوەنـدی عەشـتار، ئاشوربانیپاڵ، هێلکاری تەلارسازی.

Abstract:

Architectural planning in Erbil Citadel in the light of the Assyrian Relief preserved in the Louvre Museum

The research Entitled (Architectural Planning in the Citadel of Erbil in the Light of the Assyrian Relief preserved in the Louvre Museum) contributes to the study and realization of the subject of the Erbil City architecture in the light of the marble stone carved with the views of Erbil Castle, currently preserved at the Louvre Museum in Paris under the number (AO-19914). Assyrian cuneiform literature proves that Erbil is its old name (Arba-il), one of the fortified Assyrian cities during the rule of the New Assyrian State (911-612 BC), as well as other Assyrian capitals (Ashur, Nineveh, Khorsabad and Kalkhou), due to its important location between the central and areas of the Assyrian state border.

Population density, economic activity, the impact of the natural environment, and the geographical component of Erbil played an active role in Assyrian life. Assyrians have long been regarded as their main province and have had a special governor provide the Assyrian army with military supplies and arming them during the war campaigns. So along with the cities of Ashur and Nineveh, Erbil played an important religious role as the center of worship of the goddess Ishtar and performed many rituals for her, because it was the center of the Omens and the astronomical observation of the kings of the Assyrian state.

Keywords: Assyrian Architecture, Erbil City, Goddess Ishtar, Ashurbanipal, Architectural Planning.